

نأسف لإزعاجكم .. صيانة على طريق تقصي الحقائق

الكاتبة: لانا الطحان



نعمل من أجل سلامتكم نأسف لإزعاجكم، احذر منطقة عمل، تحويلة.... عبارات كثيرة تتصدر عدد لا يُستهان به من اللوحات الإرشادية على جوانب كثير من الطرق والشوارع، لكن ربما لطول العهد بها وعدم وجود تغيير حقيقي على خارطة الطريق لم يَعُد الكثير منا -في الغالب- يلتفت إليها أو حتى يثق ببعضها بل باتت بالإضافة للأعداد الغفيرة من الحواجز وكأنها جزء أصيل من هيكل الشوارع لا يمكنا تصور الطرق من دونهم.



لكننا نعدكم هنا بأن ما تم نصبه كلوحة إرشادية لن يطول بقائها، بل المدة المتفق عليها بيننا لإزالتها مع نهاية هذه السطور بعدما سنقدمه من حقائق -بإذن الله- تتعلق ببيان الاحتمالات الواردة من ناحية علمية لتفسير الانتفاع -الذي قد يحصل للبعض- من جراء الاستشفاء والتداوي ببعض التطبيقات الاستشفائية التي تنبني على الاعتقاد بالفلسفات الشرقية كعلوم الطاقة الكونية -الزائفة- وما يندرج تحت مظلتها من تقنيات استشفائية مثل:

العلاج بوخز الإبر على الطريقة الصينية، اليوغا، العلاج بالألوان، العلاج بالأحجار والبلورات.

إنّ غاية ما يستدل به الذين يتعاملون مع الأسباب الوهمية -بأشكالها المتعددة- هو ثبوت نفعها بالتجربة الفردية أو الجماعية"، ولكن هذه التجربة ليست كافية للارتقاء بدعوى السببية أو التأثير إلى مستوى النظرية العلمية، والتي تُعد -في عصرنا الحاضر- ضابط السبب الكوني، حيث أن ضابط "الاطراد" الذي كان يُشترط في ثبوت السبب الكوني في الماضي قد تحدد مع مرور الزمن وتقدم التقنيات فآل إلى ما يُسمى "المنهج العلمي"، أما الدعاوى التي لا تمر بمراحل "المنهج العلمي" ولا تحقق خطواته، فإنها تُصنف على أنها "علم وهمي"، ومنها التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء كالطاقة الكونية -الزائفة- والهالات والشاكرات. وإن كان بعض تفاصيلها قد ثبت تأثيره ونفعه كالرياضة والتغذية الصحية والعادات المعيشية الجيدة كالنوم والاستيقاظ المبكر



وعدم الإكثار من الطعام.... الخ فهذه فوائد مستقلة ليس لها تعلق بالفلسفة) بتصرف[1]

ولضمان سرعة إزالة اللوحة الإرشادية كما سبق ووعدناكم فلن نسهب في إيراد الأدلة العلمية التجريبية القطعية على بطلان ما يتعلق "بالطاقة الكونية الزائفة- وتطبيقاتها[2] وسنقتصر على إيراد الاحتمالات المتعددة جراء ما قد يدعيه البعض من الانتفاع ببعض ما سبق وذكرنا من طُرق علاجية متهافتة علمياً، والتي تعتمد على خرافات لاوجود لها إلا في أذهان من يؤمن بها كالقول بالطاقة الكونية -الزائفة- وأن الاستشفاء في حقيقته بحسب زعمهم- يعتمد على موازنة الطاقة السلبية والإيجابية في الجسد، (فاعتبار النفع المتقرر على أساس إيراد قصص وادعاءات لتجارب فردية أو جماعية لأي تطبيق استشفائي هو للأسف أسلوب ناجح لإقناع عوام الناس بصحة تلك الادعاءات.

لا يمكن اعتبار التجربة -الفردية أو الجماعية- على حد سواء وسيلة لإثبات تأثير السبب، فضلاً عن التحقق من العلاقة السببية، نظراً لما يشاركها من

[1] كتاب فلسفة الاستشفاء الشرقية الد. هيفاء بنت ناصر الرشيد.

[2] للاستزادة يرجع لمدونة المهندس الفيزيائي طلال العتيبي / عدة مقالات علمية لتنفيذ زيف ما يسمى بالطاقة الكونية.



احتمالات متعددة لا يمكن استبعادها إلا من خلال التجربة العلمية وهي بإيجاز كالتالي:



(١) قد يكون المرض أنهى مساره الطبيعي:

حيث إن كثيراً من الأمراض (غير المزمنة أو الخطيرة) لها خاصية الحد الذاتي، فهي تُشفى -بإذن الله- تلقائياً بعد مرور مدة معينة، ولعل هذا ما أرده ابن القيم رحمه الله عندما قرر بأن للمرض أربع مراحل:

"ابتداء، وصعود، وانتهاء، وانحطاط" [الطب النبوي -١٨٢-ابن القيم].

(٢) كثير من الأمراض لها صفة الدورية:



أي أن هذه الأمراض تزداد حدتها وتنقص بشكل دوري (كالتهاب المفاصل، أو أمراض الحساسية). وحيث أنه من الطبيعي أن يلجأ المريض إلى العلاج في فترات الشدة، فإنه عندما تبدأ الأعراض بالتناقص يتوهم المريض أنه قد شُفي بسبب ما تلقاه من علاج، بينما في الواقع أن المرض قد أخذ مساره الطبيعي فخفت الأعراض لتعود حدتها بعد مدة.

(٣) الشفاء التلقائي:

فقد يكون الشفاء من المرض هو نتيجة لما يُسمى: الشفاء التلقائي، حيث يُشفى المريض دون تلقي أي نوع من أنواع العلاج.

(٤) تأثير العلاج الوهمي أو التخييل:

وهو السبب الرئيس لما يُروى من حالات الشفاء العجيبة الناتجة عن الطرق الاستشفائية الباطلة ويساهم التخييل في تحسين الحالة المرضية نظراً لاعتبارات متعددة منها: الإيحاء، قوة الاعتقاد، التوقع، وتحويل الانتباه. وقد كانت تلك العوامل سبباً في تحصيل راحة ملحوظة عند من تلقوا علاجاً وهمياً -كأن يُعطى المريض كبسولات من السكر يعتقد أنها تحتوي على مادة علاجية-.



(٥) بعض الأمراض التي يُعتقد شفاؤها هي أمراض مرتبطة بأسباب نفسية واجتماعية:

تزول بزواله فكثير من الآلام الجسدية تنتج عن الضغوط والمنغصات النفسية والاجتماعية، ومن ثم تزول بالطمأنينة والدعم النفسي وهو ما يقدمه كثير من المعالجين بالطب البديل.

(٦) زوال الأعراض وليس المرض:

وهو ما قد توفره بعض العلاجات "البديلة" فيتوهم المريض بأنه شفي، حيث تعتبر مسكنة للألم، إما نفسياً أو مادياً.

(٧) الشفاء قد يكون بتأثير العلاج التقليدي:

حيث يجمع بعض المرضى بين العلاج البديل والعلاج التقليدي، وبعد أن يتماثل للشفاء كثيراً ما يُنسب المريض الشفاء -بعد الله- إلى العلاج البديل.

(٨) الخطأ التشخيصي من الطبيب أو من المريض نفسه:

فالمريض الذي يظن أنه شفي قد لايكون مصاباً أصلاً. وقد يعيش المريض مدة أطول مما توقعه الطبيب المتشائم فيعزو إطالة عمره إلى العلاج البديل.



(٩) تحسين الحالة النفسية للمريض يُساعد في تقبل العلاج التقليدي:

حيث يتمتع كثير من المعالجين بالشخصيات الجذابة والقوية، التي تبعث بالتفاؤل لدى المريض وهو مما يساعده على تغيير عادات أكله ونومه واختلاطه بالناس...الخ، كل ذلك يساعد في تهيئة الجسم لتقبل العلاج التقليدي الذي يكون الشفاء -بعد الله- بسببه.

(١٠) دور القناعة الشخصية:

فإن الذي لديه قناعة قوية بالعلاجات البديلة يستطيع إقناع نفسه بأنه تحسن وجزء من ذلك يعود إلى حالة الإحباط التي قد يُحِس بها الإنسان عند عدم نجاح وسيلة علاجية كان قد بذل فيها المال والوقت. هذا بالإضافة إلى الإبقاء على احترام الذات حيث يدخل بعضهم في هذه العلاجات بكل اندفاع مما يسبب له الحرج عند عدم نجاحها .وهذه الأمور قد تحصل للإنسان دون وعي منه أو قصد).[٣]

إن إخفاقنا في تمييز الخرافة من الحقيقة في أحد ميادين المعرفة العلمية يمكن بسهولة تامة أن يتفاقم إلى إخفاق في تمييز الحقيقة عن الخيال في ميادين أخرى شديدة الأهمية داخل المجتمع الحديث[٤].

---

[٣] المصدر [١]

[٤] كتاب أشهر ٥٠ خرافة في علم النفس.



وختاماً كما وعدناكم سيتم إزالة اللوحة الإرشادية في نهاية طريقنا معكم واستبدالها بما يلي:

ذُكر في مقالة المنطق أن هناك ميل إلى البدء من النتيجة قبل بناء حجة تدعم هذه النتيجة .. .

فكن على حذر



*هذا المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا يمثل - بالضرورة - رأي الناشر